ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون لضلال ما كانوا عليه في الدنيا
او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين
ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم الاعتراف اقرار عن
معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله
سحقا اي ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقراء الكسائي بالتثقيل ان
الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او
عن اعين الناس او بالمخفي عنهم وهو قولهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضماير قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم
من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه
الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحالة يستدعي
ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله تع
به رسوله عليه السلام فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل
لكم الارض ذلولا لينة ويسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل
لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطاه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل
بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تع واليه النشور
المرجع فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم
او الله تع على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه سبحانه وتعالى
في السماء وعن ابن كثير برواية قنبل وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وامنتم
بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل
بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام
امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف
انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم ح ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان
نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه واله وتهديد لقومه اولم
يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن
قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك
ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل في الطيران والطاري عليه ما يمسكهن
في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هياهن

الرسل

كلام الانبياء فنقله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات صح صح

قلوبهم

قدرته

للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرايب ويدبر العجايب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن عديل لقوله تعالى اولم يروا على معنى الم ينظروا في امثال هذه الصنايع فيعلموا قدرتنا
على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه
فهو كقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم
اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتداء وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف
لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه
ويقال هذا يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وساير الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم
بل لجوا تمادوا في عتو في عناد ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه
اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرايب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب
انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا
انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله تعالى امن
من يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل
المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك
للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل
المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى
النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا الموا عظ
والابصار لتنظروا صنايعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما
خلقت لاجله قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر
او ما وعد وامن الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي ص والمؤمنين قل انما العلم اي
علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع
المحذر عنه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة اي ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه
الذين كفروا بان عليها الكابة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون اي
تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم
ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم
اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن
الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره
بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)